البَابُ الثَّالِثُ

في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(أ) فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الدِّيانة، وعمَّت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

وقد كان الذي خِفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس هذا القطب علمه وعمله، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثلمة، إما متكفلًا بعلمها، أو متقلدًا لتنفيذها، مجددًا لهذه السنة الدائرة، ناهضًا بأعبائها، ومشمرًا في إحيائها، كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدًا بقربة تتضاءل درجات القُرب دون ذروتها[1].

وقد ورد في فضل هذه العبادة آيات مبينات، وأحاديث شهيرات:

فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فبين - ﷻ - أن من أعظم أسباب خيرية هذه الأمة قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

---

(١) «إحياء علوم الدين» [١١٨٦] ط. الشعب.

فبين ﷻ في هذه القصة - قصة أصحاب السبت - أن العذاب لحق الذين ظلموا وتحايلوا على الصيد يوم السبت، وأنعم الله - ﷻ - على الطائفة التي نهت عن المنكر بالنجاة، وسكت عن الطائفة التي سكتت، والجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم لَتَدْعُنَّه ولا يستجاب لكم**»(٢).

وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ ثُم لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها، فأتذوا به فأخذ فأسًا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي ولابد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم**»(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم**

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢-٢٥) الإيمان، والترمذي (٩/ ١٨-١٩ عارضة) الفتن، وأبو داود (١١٢٨ عون) صلاة العيدين، والنسائي (٨/ ١١١-١١٢) الإيمان، وابن ماجه [٤٠١٣] الفتن.

(٢) رواه الترمذي (٩/ ١٧ عارضة) الفتن، وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٤٣١٦) الملاحم، وابن ماجه [٤٠٠٥] الفتن، وأحمد (١/ ١٦، ٢٩، ٥٣ شاكر)، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٥/ ١٣٢) الشركة، والترمذي (٩/ ١٩ عارضة) الفتن.

بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[(١)].

(ب) الدافع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله من انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه، من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، تارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أَهل أن يُطاع فلا يُعصى، وَيُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأنه يُفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف: «وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قُرِض بالمقارض»، وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه: وددتُ أَنِّي غَلتَ بي وبِكَ القدُور في الله تعالى.

ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كل ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه[(٢)].

(جـ) حكم الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختلفوا في الوجوب هل هو وجوب عيني أم كفائي؟

فقال بعض العلماء: هو فرض عين على كل مسلم، ودليلهم قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٣)]، وفسروا قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٧) الإيمان.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥-٢٥٦) لابن رجب الحنبلي ط. الرسالة.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿أُمَّةٌ﴾، بأن معناه: كونوا أمةً دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، فـ (مِنْ) هنا للتبيين لا للتبعيض.

وقال الجمهور: هو فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

وفسروا (مِنْ) في الآية المذكورة أنها للتبعيض؛ أي: ليكن من هذه الأمة جماعة أو طائفة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

وقال بعض العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيه جميع الأمة كالعلم بالأحكام، ومراتب الاحتساب، وكيفية إقامتها، والتمكن من القيام بها.

اختلف العلماء في حكم الأمر بالمعروف هل هو فرض عين أم فرض كفاية ولكنهم اتفقوا على وجوبه، ويتغير حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتغير الظروف.

فإذا لَحِق المؤمن من جرائِه أذى جسيم، أو ترتب منكر أكبر؛ يَحُرم الإنكار.

قال القرطبي: أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك.

وإذا غلب على الظن وقوع الضرر لم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن غلب على الظن عكس ذلك وجب، كمن غلب على ظنه عدم وجود الماء فعدل إلى التيمم.

ويقول الإمام النووي: ولا يسقط على المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله ﷻ: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا

ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال في موضع آخر: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[1] [الشورى: ٤٨].

(د) مراتب تغيير المنكر

هناك ثلاث مراتب لتغيير المنكر، كما أشار إلى ذلك حديث أبي سعيد الخدري: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[2]، فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، أما إنكار القلب فلابد منه، فإذا لم ينكر قلب المؤمن المنكر دل على ذهاب الإيمان منه.

سمع ابن مسعود رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر.

وَدلَّ قوله ﷺ: «**وذلك أضعف الإيمان**»، على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الإيمان، وأن من قدر على واجب وفعله كان خيرًا ممن تركه، وإن كان معذورًا في تركه.

(هـ) قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولًا - العلم:

لابد من العلوم بالمعروف الذي ندعوا إليه والمنكر الذي ننهى عنه، وكذا حال من نأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر.

روى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال منهم[3].

(١) «منهاج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٥٦-٥٩) باختصار.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) «إعلام الموقعين» (٣، ٤، ٥).

ويشبه هذه القصة قصة سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ مع الشرطي، عن داود عن أبيه قال: كنت مع سفيان الثوري، فمررنا بشرطي نائم، وقد حان وقت الصلاة فذهبت أحركه، فصاح سفيان: مهَ! فقلت: يا أبا عبد الله! يصلي، فقال: دعه - لا صلى الله عليه- فما استراح الناس حتى نام هذا(١).

ثانيًا- الرفق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، ولا كان العنف في شيءٍ إلا شانه**»(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف**»(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يُحرم الرفق يحرم الخير**»(٤).

قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خِلال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى.

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٤١).

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٤٦) البر والصلة، وأبو داود [٢٤٦١] الجهاد، وأحمد (٦/ ٥٨).

(٣) رواه البخاري (١٢/ ٢٨٠) الاستتابة، ومسلم (١٦/ ١٤٦) البر والصلة.

(٤) رواه مسلم (١٦/ ١٤٥) البر والصلة.

وقال الإمام أحمد: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أَسْمعُوه ما يكره لا يغضب فيكون كمن يريد أن ينتصر لنفسه.

ثالثًا- الصبر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر: ١-٧].

وقال لقمان لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

رابعًا - النظر إلى المصالح والمفاسد:

لابد من نظر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في المصالح والمفاسد:

١- إذا حصلت مصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر والنهي عليه.

٢- إذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة لم يجب عليه، بل قد يحرم.

٣- إذا حصل التساوي والتكافؤ بين المعروف والمنكر لم يؤمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر؛ لأن درء المفاسد أولى من جلب المنافع.

٤- اختلاط المعروف بالمنكر، عند ذلك يدعى إلى المعروف دعوةً مطلقة، وينهى عن المنكر نهيًا مطلقًا(١).

خامسًا- الاستطاعة:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر المستطاع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

---

(١) «أصول الدعوة» لعبد الكريم زيدان (٤٦٢-٤٦٤).

وقال ﷺ: «**ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، فدلَّ على أن الإنكار بحسب القدرة والاستطاعة.

فصل في الدخول على الحكام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

لما كان هذا البحث يخص المواقف الإيمانية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان أكثر المواقف الإيمانية في أمر الحكام والجبابرة بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد قال النبي ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله**»[(٣)].

ذكرنا هذا الفصل في أمر الحكام ونهيهم، وإن كان المؤمن يحتاج إلى المواقف الإيمانية في دعوة العوام كما في قصة مؤمن آل ياسين، وسوف يأتي نبؤها بعد حين.

واختلفت مناهج العلماء في الدخول على الحكام، فمنهم من رخَّص في ذلك بشرط أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم مَنْ منع ذلك مطلقًا وحذر منه سدًّا للذريعة إلى الافتتان بهم، أو إقرارهم على الظلم.

فمن الفريق الأول: إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وقد قيل له: إنك تدخل على السلطان، وهم يظلمون ويجورون! قال: يرحمك الله، فأين المتكلم بالحق؟!

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي [٢١٧٤] الفتن، وأبو داود [٤٣٢٢ عون] الملاحم، وابن ماجه [٤٠١١] الفتن، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٤٩١].

(٣) رواه الحاكم (٣/ ١٩٥) معرفة الصحابة، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: الصغار وهو لا يدري من هو، رواه الخطيب في التاريخ (٦/ ٣٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٧٤].

وقال: حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئًا من العلم والفقه أن يدخل على ذي سلطان، يأمره بالخير، وينهاه عن الشر ويعظه.

ومن الفريق الثاني: حماد بُن سلمة، وسفيان الثوري، وإبراهيمُ بن أدهم، فلما طلب من حماد بن سلمة أن يدخل على السلطان قال مستنكرًا: أَحْمِل لحية حمراء إلى هؤلاء!! والله ما فعلت.

وأرسل سفيان الثوري إلى عباد بن عباد رسالة قال فيها: وإياك والأمراء، والدنو منهم، وأن تخالطهم في شيء، وإياك أن تُخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم، أو مظلمة، فإن تلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سُلمًا.

وكتب إلى يوسف بن أسباط فقال له: إن دعاك هؤلاء الملوك لتقرأ عليهم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلا تجبهم؛ فإن قربهم مفسدة للقلب.

ولهؤلاء العلماء سلف من الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

قال ابن مسعود: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج ولا دين معه، قيل: ولِمَ؟ قال: لأنه يرضيه بسخط الله.

وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة، لا تغش أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا، إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

والخلاصة: أن من العلماء من ترخص في الدخول على الحكام ورأى من الواجب عليه نصيحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكان في هؤلاء العلماء مَن له مِنْ قوة الشخصية والقدرة على الإنكار على الظالمين منهم، وهم يحتسبون عند الله عز وجل، وهم مأجورون على ذلك، ومن هؤلاء الإمام الزهري، وكان له شرف ومنزلة في دولة بني أمية، وكان برتبة أمير، وله من المواقف الصلبة القوية التي تنبئ عن قوة شخصيته وإيمانه

وإنكاره للمنكر، وكذا الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان له من النصائح المقبولة عند الأمراء، والمنزلة عندهم، والهيبة لديهم.

وَمَنْ نهى من العلماء عن الدخول على الأمراء فمن باب سد الذريعة، والبعد عن مواقف الفتن، والاحتياط لدينه، وصيانه علمه ومروءته، والجميع مأجور على هذه النية الصالحة، وهم علماء مجتهدون، والمجتهد مأجور على كل حالٍ، فمن علم من نفسه القوة والقدرة على إنكار المنكر إذا دخل عليهم رُخِّصَ له في الدخول، ومن استشعر ضعْف نفسه عن القيام بذلك فعليه بطريق السلامة وهو البعد عن أبواب الحكام، والله أعلم.

(و) مواقف إيمانية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١- موقف مؤمن آل فرعون:

اشتد الخلاف بين موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم، وبين فرعون اللعين، فقال فرعون: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غَافِر: ٢٦]، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غَافِر: ٢٧].

عند ذلك ظهر هذا الرجل الذي شهد الله – وَجَلَّ – له بالإيمان، وهو من آل فرعون وكان يكتم إيمانه، فنصر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نصرًا مؤزرًا، وقال كلمة عدل عند سلطان جائر فقال: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غَافِر: ٢٨]، أيّ مصلحة في قتل رجل يقول ربي الله، وقد أتاكم بالمعجزات والدلائل البينات التي تدل على صدقه، وأن الله وَجَلَّ أرسله، وإن كان كاذبًا على الله – وَجَلَّ – فالله – وَجَلَّ – يكفيكم إياه، وهو كفيل بحسابه، وإن كان صادقًا في دعواه أصابكم بعض ما يعدكم به، فلا مصلحة في قتله.

ثم ذكَّرهم بأن الدولة التي تحارب أولياء الله وَجَلَّ تؤذن بخرابها وزوالها، فقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غَافِر: ٢٩].

ثم ذكَرهم بأيام الأحزاب الكافرة، وكيف أهلكهم الله ﷻ، وهم قوم عاد وثمود والذين من بعدهم، وخوّفهم من يوم القيامة، وقال مقالة شريفة كريمةً عظيمةً، سجلها الله ﷻ في كتابه، ثم فوّض الرجل أمره إلى الله ﷻ، وتوكل عليه، واحتمى بجنابه.

وكلمة الحق تزلزل عروش الجبابرة، ويحيي الله - ﷻ - بها النفوس الجاهلة والغافلة؛ لذا قال النبي ﷺ: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[(١)]؛ لأن الجهاد تعريض للنفس للتلف، فقد تتلف نفسه وقد لا تتلف، أما كلمة العدل عند السلطان الجائر فيغلب على الظن تلف النفس، وهو عند ذلك مبشر بقول النبي ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله**»[(٢)].

والجميع يعلم كيف يكون حال من يتكلم بكلمة الحق، ومن ينصر أهل الحق في أزمنة تكون الغلبة فيها للطواغيت، وأي طاغوت مثل فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وقال: ما علمت لكم من إله غيري، وأي الناس أولى بالنصرة والتأييد من الرسل الكرام الذين هم أفضل الخلق، وأشرف الأولياء، ولكن المؤمن الذي يقول كلمة الحق عند السلطان الجائر لا يفكر عند ذلك بعقول أهل الدنيا، وقلوب أهلها، ولكنه يفكر بعقل الإيمان وقلبه، إنه لا يفكر عند ذلك في أمواله وأولاده ومصالحه الدنيوية، ولكنه يفكر في دين الله ﷻ وكيف ينصر دين الله وأولياءَه الصالحين؟.

إن همته وعقله وقلبه أكبر من الدنيا وسفسافها، إنه يفكر في الآخرة، فهو ينظر إليها وكأنه صار من أهلها، إنه ينظر إلى جلال الله ﷻ وعظمته فيستصغر عند ذلك الدنيا، ويعظم في قلبه سلطان السماء فيستصغر سلاطين الأرض.

إن هذه المعاني الشريفة تتحرك في قلب المؤمن وهو يتكلم بكلمة الحق، وهو ينصر الحق، وأولياءه، ولاشك في أنهم مكروا به مكرًا عظيمًا، لم يفصح لنا القرآن الكريم عن طبيعة هذا المكر ونوعه، ولكنه أشار إشارة مجملة إلى هذا المكر، وبَيَّنَ الله ﷻ أنه وقاه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

سيئات ما مكروا فقال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وهكذا المؤمن الذي يرفع راية الإيمان يرفعه الله ﷻ، والذي يُعز دين الرحمن يعزه الله ﷻ.

والمواقف الإيمانية الدافع إليها واحد وهو محبة الله ﷻ وقوة الإيمان، وهدفها واحد وهو إرضاء الرحمن، والوصول إلى روضات الجنان، ولكنها تختلف في قصصها، وسياقها، وهذه المواقف الإيمانية تصبح رايات كريمة شريفة ترتفع على طريق الإيمان، فكلما رأى المؤمنون هذه الرايات المرفوعة فإنهم يزدادون تمسكًا بدينهم، ومحافظةً على يقينهم، فصار هذا الرجل المؤمن قصةً من قصص الإيمان، وسجل الله – ﷻ – في كتابه الخالد موقفه الإيماني، يتأسى به الناصحون، وينسج على منواله الدعاة المخلصون.

فائدة: وقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ موقفًا مماثلًا لموقف هذا الرجل المؤمن مع موسى عليه السلام.

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨][(١)].

وقد ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من هذا المؤمن، بل هو أفضل وَلِيٍّ لله – ﷻ – بعد الأنبياء الكرام كما قال النبي ﷺ: «**أبو بكر وعمر سيدا كُهُول أهل الجنة من الأولين والآخرين، عَدَا الأنبياء والمرسلين**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٠٣) مناقب الأنصار.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٣١٠ عارضة)، وابن ماجه [٩٥] المقدمة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨٢٤].

٢- موقف مؤمن آل ياسين:

وهذا موقف آخر من مواقف الإيمان في الدعوة إلى الله - ﷻ - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو موقف رجل آخر أتى يسعى من أقصى المدينة يَهُمه أن تنتشر دعوة الرسل، وأن يؤمن الناس بالرسل الكرام، وسواءً كانوا رسلًا من عند الله ﷻ أو كانوا دعاة إلى الله ﷻ يدعون بدعوة الرسل، فالواجب على المؤمنين نصرتهم، وشد أزرهم، وأولياء الله ﷻ تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم.

حكى الله ﷻ قصة هذا الرجل المؤمن في سورة ياسين فقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

وإنما قال المؤمن هذه المقالة العظيمة بعد أن اشتد خلاف أهل القرية للرسل الكرام، وقالوا لهم: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس: ١٨]، فقد تهددوا الرسل الكرام، بالرجم والعذاب الأليم، ومع ذلك وقف هذا الرجل مع الرسل وقفة مؤمنة قوية، ونصرهم بالحجة الظاهرة الدامغة، وبين لهم أن الرسل لا يستفيدون من إيمانهم شيئًا دنيويًا، فهم لا يسألونهم على هدايتهم إياهم أجرًا، وإنما أجرهم على الله ﷻ، مع أنهم يبذلون لهم النصيحة ويهدونهم إلى الله ﷻ.

ثم بين أن ذلك أعظم ما يمكن اكتسابه، وهو الهداية إلى الله ﷻ، ثم بَيَّنَ أن ما يدعون إليه من عبادة الله ﷻ، إنما هو الواجب عليهم، فإن الله ﷻ هو خالقهم وهو الذي إليه يرجعون، فيحاسب المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وأن الآلهة الباطلة التي يعبدونها من دون الله ﷻ لا تنفعهم، ولا تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله.

ولاشك في أن المؤمن وهو يذكر قومه بذلك ويدعوهم إلى الإيمان متعرض لما هددوا به الرسل من الرجم والعذاب الأليم، ولكنه وقف هذا الموقف الإيماني بدافع الإيمان الصادق، ومحبة الهداية لقومه، فقد كان بالغ الحرص عليها، والقوم كانوا في غاية الجهل والغباوة والكفر فيبدو أنهم رجموه كما تهددوا الرسل، أو قتلوه بأي وسيلة أخرى، فانتقل من دار البلاء إلى دار الجزاء، فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

والمؤمن رابح في كل حال كما قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير...**»(١)، فلما قتله قومه عاين كرامة الله ﷻ وأدرك عين اليقين، والحرص على هداية قومه ما يزال في قلبه فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]، وارتفعت بهذا الموقف الإيماني راية من رايات الإيمان، وأضاء به منار من منارات العقيدة، وسجل الله - ﷻ - هذا الموقف في كتابه الخالد، تبصرةً للمؤمنين، وعبرةً للمعتبرين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٣- الحسن البصري رحمه الله والحجاج الثقفي:

دعا الحجاج فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة، وكان من بينهم الحسن البصري رحمه الله وكان آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحبًا بأبي سعيد، إليّ إليّ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرهم ويسألهم، ثم ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونالَ منه، فوافقه الجالسون مقاربة له، وفرقًا من شره، والحسن ساكت عاضٌّ على إبهامه، فقال الحجاج: يا أبا سعيد، مالي أراك ساكتًا؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله - جل ذكره - يقول: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فعليٌّ

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٢٥) الزهد، وأحمد (٦/ ١٦) والدارمي (٢/ ٣١٨) الرقاق.

ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول: ابن عم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخَتَنه على ابنته وأحب النّاس إليه، وصاحب سوابق مباركة، سبقت له من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها، وأقول: إن كان لعلي هنّات فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولًا أعدل من هذا، فبسر وجه الحجاج وتغير، وقام عن السرير مغضبًا، فدخل بيتًا خلفه، وخرج القوم.

قال عامر الشعبي - وكان جالسًا معهم -: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرتَ صدره، فقال: إليك يا عامر، يقول الناس: عامر الشعبي عالم الكوفة، أتيت شيطانًا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه، ويحك يا عامر، هلا اتقيت الله إن سُئِلْتَ فَصَدَقتَ، أو سكتَّ فَسَلِمتَ.

قال عامر: يا أبا سعيد! قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذلك أعظم في الحجة عليك، وأشد في التبعة[1].

فهذا موقف إيماني من التابعي الجليل الحسن البصري، وهو هو في العلم والعبادة والخشية من الله عَزَّوَجَلَّ، فَذَبَّ عن عرض أمير المؤمنين حيدرة عليِّ بن أبي طالب، فارس الإسلام وابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول من أسلم من الفتيان، وكان له من العمر ثمان سنوات، وزوَّجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمة سيدة نساء الأمة، وقال له: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[2]، وكان بحرًا من بحور العلم، وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو الحسن.

واتفق المهاجرون والأنصار على فضله على سائر الصحابة الكرام بعد أبي بكر وعمر وعثمان، وكان من عادة بني أمية سَبّ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المجالس وعلى المنابر، وهذا لا ينقص من شأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بل يزاد في حسناته، وأبطل هذه العادة السيئة الإمام العادل

(١) «منهاج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٨٥-١٨٦).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٧١)، ومسلم (١٥/ ١٧٥)، والترمذي (١٣/ ١٧٥ عارضة)، وعبد الرزاق [٢٠٣٩]، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١١٤).

عمر بن عبد العزيز، واستبدلها بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وإنما قال الحسن البصري للحجاج الثقفي ما قال - وكان سفاكًا للدماء، لا يتورع عن انتهاك محارم الله - إحقاقًا للحق ونصرة له فلعنة الله على الظالمين، ورحم الله العلماء العاملين، وأجزل مثوبتهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

٤- محمد بن سيرين رحمه الله وابن هبيرة:

عن جعفر بن مرزوق قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، قال: فدخلوا عليه فقال لابن سيرين: يا أبا بكر، ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلمًا فاشيًا، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تُسأل، إنما أنا أُسأل. فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها[(١)].

قال هشام: ما رأيت أحدًا عند السلطان أصلب من ابن سيرين[(٢)].

العلماء لا يحسنون إلا الصدق، والجهر بكلمة الحق، وإن أعقبها ما أعقبها، لا يحسنون المداهنة ولا المراوغة، وهم إنما يرتفعون في الدنيا والآخرة بصدقهم، وصدعهم بالحق، فلو داهن العلماء الأمراء الظلمة فمن أين يعرف الناس ظلم الظالمين، وبغي الباغين، وقد أخذ الله - ﷻ - عليهم الميثاق: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فلله دَرُّهُم، وعليه تعالى أجرهم.

٥- سفيان الثوري رحمه الله وأبو جعفر المنصور:

قال الثوري: أدخلت على أبي جعفر بمنى فقلت له: اتفق الله فإنما أنزلت هذه المنزلة، وصرفت هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا، حَج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينارًا، وكان ينزل تحت الشجرة، فقال: إنما

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٦٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦١٣).

تريد أن أكون مثلك؟ قال: قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه، فقال لي: أخرج[١].

هذا موقف إيماني من إمام من أئمة المسلمين في زمن أتباع التابعين، من شيخ المحدثين، وأمير المؤمنين، وإمام الزهاد والعباد، سفيان بن سعيد الثوري، ومن أولى بالمواقف الإيمانية من هؤلاء الأعلام الكرام، وكان سفيان الثوري من أشد الناس تحذيرًا من الدخول على الأمراء، وكان أشد الناس عليهم.

لما لقي أبو جعفر المنصور سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، ضرب المنصور على عاتقه وقال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنك قبضت عليّ قبضة جبار، فقال له الحارس: هذا أمير المؤمنين! فقال المنصور: ما يمنعك أن تأتينا؟ قال سفيان: إن الله نهى عنكم فقال: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

ودخل يومًا على المهدي وغلظ له في القول، فقال له وزير المهدي: شططت، تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت ما أهلك فرهون إلا هامان، فلما وَلَّى سفيان قال أبو عبيد الله: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال له: اسكت، ما بقي على وجه الأرض من يُستحَى منه غير هذا[٢].

وقال بعض السلف: على قدر محبتك لله - ﷻ - يحبك الخلق، وعلى قدر مخافتك من الله - ﷻ - يهابك الخلق، وعلى قدر انشغالك بالله - ﷻ - تنشغل الخلق بأشغالك.

٦- عمرو بن حبيب القاضي والرشيد:

قال عمرو بن حبيب القاضي: حضرت مجلس الرشيد يومًا فجرت مسألة فتنازعها الخصوم، وعلت الأصوات فيها، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم،

(١) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٠٦) لابن أبي حاتم.
(٢) «الورع» للإمام أحمد [٥٨].

فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فنظر إليَّ الرشيد نظر مغضب، وانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث أن جاءني غلام فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه، وأُدْخِلتُ على الرشيد وهو جالس على كرسي، حاسرًا ذراعيه، بيده السيف، وبين يده النطع، فلما بصر بي قال: يا عمرو بن حبيب! ما تلقَّاني أحد من الدفع والرد بمثل ما تلقيتني به، وتجرأت عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي قلته ودافعت عنه، ومِلتَ إليه، وجادلت عنه ازدراء على رسول الله ﷺ، وعلى ما جاء به، فإنه إذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة، فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغى إليه، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم، فلما سمع كلامي رجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمرو بن حبيب أحياك الله، أحييتني أحياك الله[1].

وعمرو بن حبيب ولي قضاء البصرة للمأمون، وله قصة مع المأمون رواها الخطيب بسنده قال: وفدت مع وفد من أهل البصرة حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون، فجلسنا وكنت أصغرهم سنًا، فطلب قاضيًا يولى علينا بالبصرة فَبَيْنا نحن كذلك إذ جيء برجل مقيد بالحديد مغلولة يده إلى عنقه، فخلت يده من عنقه، ثم جيء بنطع فوضع في وسطه، ومدت عنقه، وقام السياف شاهرًا السيف، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عنقه فأذن له، فرأيت أمرًا عظيمًا فقلت في نفسي: والله لأتكلمن فلعله أن ينجو فقلت: يا أمير المؤمنين، اسمع مقالتي، فقال لي: قل، فقلت: إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ من بطان العرش: ليقم من أعظم الله أجره، فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه**»، فاعف عنه عفا الله عنك يا أمير المؤمنين، آلله إن أباك حدثني عن جدك عن...

(١) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٩٧).

فقال: صدقت إن أبي حدثني عن جدي عن ابن عباس بهذا، يا غلام أطلق سبيله، فأطلق سبيله، وأمر أن أُوَلَّى القضاء[١].

٧- الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ وعبد الله بن علي:

عن أبي خليد عتبة بن حماد القارئ قال: حدثنا الأوزاعي قال: بعث عبد الله بن علي إليَّ فاشتد ذلك عَلَيَّ، وقدمت فدخلت والناس سماطان فقال: ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه؟[٢] فقلت: أصلح الله الأمير قد كان بيني وبين داود بن علي مودة، قال: لتخبرني، فتفكرت ثم قلت: لأصدقنه، واستبسلت للموت ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث «الأعمال»، وبيده قضيب ينكت به، ثم قال: يا عبد الرحمن! ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشخير عن عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يحل قتل المسلم إلا في ثلاث...**»[٣] وساق الحديث، فقال: أخبرني عن الخلافة وصية لنا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقلت: لو كانت وصية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدًا يتقدمه، قال: فما تقول في أموال بني أمية؟ قلت: إن كانت لهم حلالًا فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا فهي عليك أحرم، فأمرني فأخرجت، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد كان عبد الله بن علي ملكًا جبارًا، سفاكًا للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بِمُرّ الحق كما ترى، لا كخلقٍ من علماء السوء الذين يُحسنون للأمراء ما يقتحمون من الظلم والعَسْفِ، ويقلبون لهم الباطل حقًا - قاتلهم الله - أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق[٤].

٨- ابن أبي أنعم وأبو جعفر:

قدم ابن أبي أنعم على أبي جعفر يشكو جور العمال، فأقام ببابه أشهرًا ثم دخل عليه، فقال له أبو جعفر: ما أقدمك؟ قال: جور العمال ببلدنا، فجئت لأعلمك فإذا الجور يخرج

---

(١) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٩٨-١٩٩)، والحديث ضعفه الألباني، ضعيف الجامع رقم [٧٦٩].

(٢) أي: خروج بني العباس على بني أمية عند قيام الدولة العباسية.

(٣) حديث عائشة رواه النسائي وأبو داود وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢٤/ ١٢٥).

من دارك، وفي رواية أخرى جاء فيها: فقلت: رأيت يا أمير المؤمنين ظلمًا فاشيًا وأعمالًا سيئة، فظننت لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان أعظم للأمر، فنكس طويلًا ثم رفع رأسه فقال: كيف لي بالرجال؟ قلت: أفلح عمر بن عبد العزيز كان يقول: الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فأطرق طويلًا فقال لي الربيع - وأومأ إليّ - أن اخرج، فخرجت وما عدت[١].

وقال الأستاذ فاروق السامرائي:

لم يُثْنِ بُعْدُ البلاد، وطول الطريق هذا العالم الجليل عن الوصول إلى الخليفة من أجل النصح والإرشاد، وبكل صراحة وشجاعة يواجه الخليفة، ليكشف له الستار عن حقيقة الأمر.

نعم: لقد جاء من مكان بعيد ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولم يمنعه عناء الطريق عن هدفه المنشود في الإصلاح[٢].

٩- أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وأبو جعفر المنصور:

لما ثار أهل الموصل على أبي جعفر المنصور جمع الفقهاء، وفيهم أبو حنيفة فقال: أليس صح أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المؤمنون عند شروطهم**»[٣]، وأهل الموصل شرطوا ألا يخرجوا عَلَيَّ، وقد خرجوا على عاملي، وقد حلت لي دماؤهم، فقال رجلٌ: يدك مبسوطة عليهم وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فبما يستحقون، فقال لأبي حنيفة: ما تقول يا شيخ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٦٣).

(٢) «مناهج العلماء» [١٢٢].

(٣) رواه الترمذي [١٣٥٢] الأحكام، وأبو داود [٣٥٧٧ عون] الأقضية بلفظ: «المسلمون على شروطهم» وقال الترمذي: حسن صحيح وضعفه بعضهم بكثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف.

قال أبو حنيفة: إنهم شرطوا لك مالا يملكون، وشرطت عليهم ما ليس لك؛ لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معانٍ ثلاث، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل، وشرط الله أحق أن توفي به[١].

١٠- المنذر بن سعيد والناصر لدين الله:

لما اشتدت الجفوة بين المنذر بن سعيد والخليفة الناصر لدين الله نتيجة محاسبة المنذر له على إسرافه في بناء مدينة الزهراء، أراد ولده الحكم أن يزيل ما وقع بينهما فاعتذر له عند الخليفة، فقال: يا أمير المؤمنين! إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرًا، ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية (أي: القبة التي شيدها الناصر بالزهراء واتخذ قراميدها من فضّة، وبعضها مغشى بالذهب، وجعل سقفها نوعين، صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة، يستلب الأبصار شعاعها) فلما قال له ولده ذلك أمر ففرشت بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته ووزرائه: أرأيتم أو سمعتم ملكًا كان قبلي صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: والله يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد في هذا الشأن، فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكسًا رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء ما رأى، وقال: والله يا أمير المؤمنين! ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن، مع ما آتاك الله تعالى وفضلك به على المسلمين، حتى ينزلك منازل الكافرين، فاقشعر الخليفة من قوله، وقال له: انظر ما تقول كيف أنزلني الله منازلهم؟! فقال: نعم، أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا...﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥] فوجم الخليفة ونكس رأسه مَلِيًا، وجعلت دموعه تنحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر وقال له: جزاك الله خيرًا، وعن الدين خيرًا، فالذي قلت هو الحق، ثم قام من مجلسه وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد قراميدها ترابًا على صفة غيرها[٢].

---

(١) أبو حنيفة لأبي زهرة [٢٣]، نقلًا عن «مناهج العلماء» صـ[١٢٣].

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨-٢٨٩).

فبمرّ الحق كان العلماء العاملون يقرعون الخلفاء والحكام، فربما أفاق الحاكم من غفلته، وعاد إليه رشده ونزاهته، لأن الغالب أن هؤلاء الحكام ما كانوا يقصدون مخالفة الحق عِنادًا واستكبارًا، وإن كان الأمر كذلك لازدادوا غَيًا وفسادًا، ولكنهم كانوا يحكّمون شرع الله ﷻ، ويدعون إليه، وقد يقع من بعض الحكام شيء من الظلم أو البغي غافلين، أو متغافلين، فإذا واجههم العلماء بالحق استفاقوا من غفلتهم، ورجعوا إلى الحق صاغرين، ونُصْحُ الحاكم عزيز لأن أكثر من يخالطونهم يوافقونهم على الخطأ والصواب، ولا يخلصون لهم النصيحة، فمن هنا كانت هذه المواقف الإيمانية التي يدفع فيها الإيمان الصادق هؤلاء العلماء للجهر بكلمة الحق، فيهدي الله – ﷻ – بهم من يشاء، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

١١- عبد القادر الجيلاني والمقتفي لأمر الله:

وقف الشيخ عبد القادر على المنبر ليحاسب المقتفي لأمر الله، وينكر عليه تولية يحيى بن سعيد المشهور بابن المزاحم الظالم القضاء.

فقال مخاطبًا له: «وَلَّيْتَ على المسلمين أظلم الظالمين، فما جوابك غدًا عند رب العالمين، أرحم الراحمين»، فارتعد الخليفة وعزل المذكور لوقته[1].

وعبد القادر الجيلاني أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه المواقف الإيمانية أولى الناس بها علماء السنة وأئمة الملة، وانظر إلى بركة هذه المواقف، وبركة صدق أهلها، كيف يعود خيرها للمسلمين ويدخر الله – ﷻ – أجرها لأوليائه الصالحين.

١٢- العِزّ بن عبد السلام وسلطان مصر:

قال التاج السبكي: سمعت الشيخ الإمام يقول: سمعت شيخنا الباجي يقول: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان

(١) نقلًا عن «مناهج العلماء» (١٣٣-١٣٤).

فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبَوِّئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الخانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة - يناديه كذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون - فقال: يا سيدي! هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٣] فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

قال السبكي: سمعت الشيخ الإمام يقول: سمعت الباجي يقول: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي، كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدي أما خِفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان قُدَّامِي كالقط[1].

فهذا موقف إيماني من سلطان العلماء العز بن عبد السلام يظهر فيه هيبة العلماء، وكيف أنه نادى السلطان باسمه، والسلطان يقول له: يا سيدي، مع ما كان فيه السلطان من الأبهة والترف، ولكن العلماء لا يهولهم زخارف الدنيا وزينتها.

ثم الدافع لهم في هذه المواقف الإيمانية تعظيم الأمر والنهي ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومحبة العلماء لله ﷻ، وخشيتهم منه وتعظيمهم له، تجعلهم يستهينون بسلاطين الأرض، فلما استحضر العز بن عبد السلام هيبة الله ﷻ استصغر السلطان أيوب، فكان أمامه مثل القط، فخاطبه بما خاطبه به، وإنما ذهبت هيبة العلماء، عندما استهانوا بدين الله ﷻ، فقلَّت هيبتهم من الله ﷻ، وطمعوا في زينة الدنيا فعظموا سلاطين الأرض، وطمعوا فيما في أيديهم، فباعوا دينهم بدنياهم، إلا من رحم ربك، وقليلٌ ما هم.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢١١، ٢١٢).

١٣- الإمام النووي والظاهر بيبرس:

لما أراد الظاهر بيبرس قتال التتار بالشام أخذ الفتاوى من العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه.

فقال: هل بقي من أحدٍ؟ فقيل له: نعم، بقي الشيخ محيي الدين النووي، فطلبه فحضر.

فقال له: اكتب خَطَّك مع الفقهاء، فامتنع.

فقال: ما سبب امتناعك؟

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مالٌ، ثم مَنّ الله عليك وجعلك ملكًا، وسمعت أنّ عندك ألف مملوكٍ، كل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حقٌّ من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلًا من الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية، فغضب الظاهر من كلامه، وقال: اخرج من بلدي - يعني دمشق -.

فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى (نوى).

فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق.

فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر[1].

وفيه هيبة العلماء وقوتهم في الحق وعزة أنفسهم؛ لأنهم يستمدون قوتهم من الله - ﷻ - وعزتهم منه، رحمهم الله، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار.

١٤- شيخ الإسلام ابن تيمية وقازان ملك التتار:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فحكي عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك مؤذن،

(١) من أخلاق العلماء نقلًا عن «علماء وأمراء» لوحيد عبد السلام بالي [٧١].

وقاضي، وإمام، وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا، وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام، بل جاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فمَا وَفَّيْتَ، قال: وجرت له مع قازان وقطلوشاه وبولاي أمور ونوب قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحقَّ ولم يخش إلا الله ﷻ.

قال: وقرب إليه جماعة طعامًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: «اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لله فانصره وأيده وملّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعة وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله، وزلزله، ودمره، واقطع دابره...» قال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيْره: كدت أن تهلكنا، وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم.

قال: فانطلقنا عصبة وتأخروا في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم[1].

١٥- عالم أزهري والخديوي إسماعيل:

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر، لوقوع الخلاف بين قوادها وجيوشها، ضاق صدر الخديوي لذلك، فركب يومًا مع شريف باشا، وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف: ماذا تصنع حينما تُلِمُّ بك مُلمَّة تريد أن

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٨٩).

تدفعها فقال: يا أفندينا: إن الله عَودني إذا حاق بي شيءٌ من ذلك أن ألجأ إلى صحيح البخاري، يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس، فيفرج الله عني، قال: فكلم الخديوي شيخ الأزهر - وكان الشيخ العروسي - فجمع له صلحاء العلماء يتلون في البخاري أمام القبة القديمة في الأزهر، قال: ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى، فذهب الخديوي ومعه شريف إلى العلماء وقال مُحْنَقًا: إما أن هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لن يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا، فوجم العلماء، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم، فلا يستجاب لهم**»[(١)]، فزاد وجم المشايخ، وانصرف الخديوي ومعه شريف، ولم ينبسا كلمةً، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟

فقال الشيخ: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به قاعد في البهو وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه وقال له: أعد - يا أستاذ - ما قلته لي في الأزهر، فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديوي: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

قال له: يا أفندينا أليس المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحًا؟ أليس أليس، وعدد له منكرات تجري بلا إنكار وقال: كيف ننتظر النصر من السماء؟ فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه هي مدينتهم؟

قال الشيخ: إذًا فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديوي مَلِيًا، وأطرق طويلًا ثم قال له: صدقت، صدقت[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٧ عارضة) الفتن، وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني.

(٢) من أخلاق العلماء (١٠١-١٠٢) نقلًا عن «مناهج العلماء» (١٣٨-١٤٠).